كثير من القصص القصيرة الفلسطينية التي تخطىء إمكانية القصة القصيرة و«تحشر» فيها «الماضي والحاضر والنضال والمستقبل»، ونجد مثالاً على ذلك في قصص «يحيى يخلف» الاولى «المهرة» والتي تجاوزها فيما بعد في «نورعا» و«رجل الثلج»، ونجد شيئاً شبيهاً في قصص «فاروق وادي» في مجموعته «المنفى يا حبيبتي»، على الرغم من بعض القصص الجميلة في هذه المجموعة، وهناك ايضاً بعض «القصص الفكرية»، وان كان بشكل مختلف في مجموعة محمود شاهين «نار البراءة» ومجموعة توفيق فياض «البهلول».

إذا كان سؤال الادب والاخلاق يعيدنا إلى معنى الجنس الادبي واختلافه في قوله عن الاجناس الكتابية الاخرى، فإن سؤال القصة والافكار يطرح امامنا سؤال القصة القصيرة او سؤال إمكانية القصة القصيرة وحدودها. لا نودّ هنا ان نقترب من هذا السؤال، لكننا نودّ ان نقول إن القصة القصيرة ليست سلسلة افكار او سلسلة مواقف وحوادث، فهي مقطع من الحياة اليومية يجد. معادله الكتابي الخاص به، وفي الكتابة يصبح، ويظل، وحدة حدثية ذات اثر «واحد»، اي ان القصة القصيرة، تقوم على وحدة الحدث ووحدة الاثر، لذا فإنها ترسم اللحظة «الزمنية» المباشرة، دون ان تذهب إلى وراء اللحظة او امامها، ومهما كان «طول» القصة او «قصرها»، فإن هذا لا يلغي وحدة الحدث والاثر، اي ان البنيان القصصي يظل مستقلاً عن «طول الحدث» لأن دور البنيان هو إنتاج وحدة الأثر الناتج عن موقف محدّد، او عن مقطع يومي محدّد. وبسبب طبيعة هذا «المقطع» فإن القصة القصيرة لا تتعامل مع السببية الاجتماعية او السببية التاريخية كما هو الحال في الرواية. فدور القصة القصيرة هو رسم موقف «عارض» ذي اثر، او رصد اثر يرى ولا يرى في الحياة اليومية. إن القول بوحدة الحدث ووحدة الاثر لا ينفي تعدّد المستويات الدالة التي يمكن ان تقوم في القصة القصيرة، بل يعني ان هذه المستويات تتلاقى دوماً في إنتاج أثر معين مرتبط بـ «موقف انساني» معين، او بصورة قائمة في المجتمع تمنحها الكتابة إضاءة معينة. انطلاقاً من هذا، يمكن ان نقول، إن بعض قصص سميرة عزام كانت تتيه عن إمكانيتها الفعلية، تتجاوز تارة هذه الامكانية وتصل إلى «القصة/الرواية»، او لا تصل إلى الإمكانية وتنحسر في «القصة/الفكرة».

ومهما يكن من امر فإن قصص سميرة عزام عاشت، او حاولت ان تعيش، تجربتها الكتابية، وفي هذه التجربة نمت وتغيّرت وارتقت من مسار إلى مسار، فلم تظل ساكنة مراوحة، وفي حركتها المستمرة عاشت القصص الكتابة بشكلها البسيط والمحدود، وارتقت ايضاً إلى شكل الكتابة الحقيقي، مخلّفة وراءها قولاً وأثراً وصدى. قولاً يدافع عن الحرية، وأثراً ينضوي في الكتابة الفنية، وصدى يذكّر بالصوت الفلسطيني، وفي هذه الأبعاد تقف سميرة عزام في كتابتها تشير إلى الكتابة والوطن، وتضيف مساهمة اصيلة إلى الثقافة الفلسطينية التي عاشت تجربة اللجوء، وندبت الوطن المفقود، ثم بشّرت بما هو قادم، وناضلت، ولا تزال، لاستقبال قادم سوي، يساوي في جماله عثار الماضي وقلق الانتظار ومساحة الفداء.